المؤتمر العلمي الثاني
لطلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا
الجامعة الأسمرية الإسلامية 1446هـ- 2024م

الملابس والزينة النسائية في الدولة الفاطمية
دراسة تاريخية في مصر (358-567هـ/969-1171م)

صلاح عطية كريم و محمد عمر بشينة*

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

*البريد الإلكتروني: m.ebshina@asmarya.edu.ly

Women's Clothing and Adornment in the Fatimid State:
A Historical Study in Egypt (358–567 AH/969–1171 AD)

Salah Atiya Karim and Mohammed Omar Bashinah*

Department of History, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University, Zliten, Libya.

الملخص

يتناول هذا البحث الملابس والزينة النسائية خلال فترة الدولة الفاطمية، مسلطًا الضوء على الأنماط والتقاليد الثقافية المتعلقة بالملابسة النسائية. يستعرض البحث أنواع الملابس المستخدمة، مثل الأغطية والعصائب، ويحلل المواد والتقنيات المستخدمة في صنعها. كما يتناول تأثير الطبقات الاجتماعية على أنماط الملابس والزينة، مع التركيز على دور الجواري والقيان والفلاحات. يهدف البحث إلى إبراز التطور التاريخي حيث تتبع تطور الملابس والزينة عبر فترة الحكم الفاطمي، ويهدف إلى فهم دور الملابس والزينة في تحديد المكانة الاجتماعية والاقتصادية لطبقات النسائية في المجتمع الفاطمي. وقد استخدم المنهج التاريخي السردي والوصفي. وقد نتج عن البحث عدة نتائج أهمها: نتج عنه تأثير الثقافة بحث تمثل الملابس والزينة جزءًا من الهوية الثقافية الفاطمية، حيث تأثرت بالعوامل الدينية والسياسية، مما ساهم في تشكيل أنماط جديدة، واستخدام المواد الفاخرة حيث استخدمت النساء مواد فاخرة مثل الأقمشة الملونة والجواهر، والتيجان والأحزمة وغيرهما خاصة بين الطبقات العليا، مما يدل على مكانهن الاجتماعية والاقتصادية، وأيضا نتج عن البحث أن الألوان والزخارف المستخدمة تحمل دلالات رمزية، تعكس الحالة الاجتماعية والمناسبات المختلفة مثل الأعراس والمآتم.

الكلمات الدالة: الدولة الفاطمية، الملابس، الزينة، التاج، الحجاب، البرنس.

Abstract

This research addresses women's clothing and adornment during the Fatimid period, highlighting the cultural patterns and traditions related to women's attire. The study reviews the types of clothing used, such as head coverings and

wraps, and analyzes the materials and techniques employed in their production. It also examines the impact of social classes on clothing and adornment styles, with a focus on the roles of concubines, entertainers, and peasant women. The research aims to highlight the historical development by tracing the evolution of clothing and adornment throughout the Fatimid rule, seeking to understand the role of these elements in defining the social and economic status of women in Fatimid society. The research involved a narrative and descriptive historical approach and used the American Psychological Association (APA) citation style. The research yielded several results, summarized as follows: Cultural impact was significant, as clothing and adornment represented a part of Fatimid cultural identity, influenced by religious and political factors, which contributed to the formation of new styles. Women utilized luxurious materials, such as colorful fabrics, jewels, crowns, and belts, especially among the upper classes, reflecting their social and economic status. Additionally, the colors and decorations used carried symbolic meanings, reflecting social status and various occasions, such as weddings and funerals.

***Keywords**: Fatimid State, Clothing, Adornment, Crown, Veil, Cloak.*

المقدمة

كانت الملابس والزينة النسائية في الدولة الفاطمية تعكس الثراء والترف الذي عاشتها النساء في تلك الفترة. تميزت الأزياء النسائية باستخدام الأقمشة الفاخرة مثل الحرير والكتان، وكانت تزخرف بالتطريزات الذهبية والفضية، كانت الملابس طويلة وواسعة، غالبًا ما تكون مزينة بأنماط معقدة.الأوشحة والعباءاتحيث استخدمت لتغطية الرأس والكتفين، وغالبًا ما كانت مصنوعة من قماش شفاف أو مزخرف. وأنا الزينة النسائية في الدولة الفاطمية فقد كانت المجوهراتأهمها التي تضمنت الأقراط، الأساور، والقلائد المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بالأحجار الكريمة، وكذلك الحلي التي كانت يُستخدم بشكل واسع في تزيين الشعر والملابس، تمثلت الزينة والملابس في النسائية الفاطمية في التأكيد على الهوية الثقافية والاجتماعية، وكانت تعكس مكانة المرأة داخل المجتمع.

أهمية البحث:

بالتأكيد هناك أهمية البحث وهي كالآتي:

- فهم الهوية الثقافية التي تساعد في الكشف عن كيفية تعبير النساء عن هويتهن الثقافية في الملابس والزينة من خلال الملابسهن والزينتهن .
- يسلط الضوء على دور المرأة ومكانتها في لالاهتمام بالملابس والزينة الذي يعكس على المجتمع الفاطمي.

- يعكس البحث عن الملابس والزينة الفاطمية الوضع الاقتصادي ومستوى الرفاهية لطبقات النساء في تلك الفترة.
- يبرز البحث التأثير المتبادل بين الأزياء والفنون الأخرى كالتطريز والزخرفة.
- التواصل الحضاري حيث يساعد في فهم التأثيرات المتبادلة بين الثقافات من خلال دراسة الملابس والزخارف المستوردة من خارج الدولة الفاطمية.
- يساهم البحث في الحفاظ على التراث الثقافي والفني للملابس لتلك الحقبة التاريخية المهمة.
- هذا البحث يقدم رؤى قيمة عن الحياة اليومية والمكونة في الملابس والزينة النسائية في الدولة الفاطمية، مما يثري المعرفة التاريخية والثقافية لهذه القضية.

إختيار البحث:

هناك أسباب لاختيار البحث لعل أهمها:

- إبراز الهوية الثقافية للملابس والزينة النسائية التي التركيز على كيفية تعبير النساء عن هويتهن وثقافتهن من خلال هذا العصر.
- إبراز هذه الدراسة لهذه الفترة الغنية بالتغيرات في طبقات النساء وملابسهن وزينتهن في الدولة الفاطمية.
- تضمين الفروقات الاجتماعية بين النساء الفاطميات من حيث تحليل دور الأزياء في التمييز بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية.
- إيجاد التأثيرات الفنية في ملابس النساء وفهم العلاقة بين الملابس والفنون الأخرى في تلك الحقبة.
- استكشاف تأثير التجارة على تنوع الأقمشة والزينة المستعملة.
- المساهمة في توثيق وحفظ جوانب من التراث الثقافي في الملابس.

صعوبات البحث:

من المؤكد أن هناك صعوبات واجهت البحث في موضوع الملابس والزينة النسائية في الدولة الفاطمية وهي على النحو التالي:

- ندرة المصادر وقلة المراجع التاريخية المباشرة التي تتناول هذا الموضوع بالتفصيل.
- التفسيرات المتناقضةالتي تأتي اختلاف التفسيرات والآراء حول الملابس والزينة في تلك الفترة.

- صعوبة الوصول إلى قضية التأثيرات الخارجية وصعوبة الفصل بين التأثيرات المحلية والأجنبية في التصاميم والمواد المستخدمة في الملابس النسائية بطبقاتها.
- التوثيق البصري للبحث نقص الصور والرسوم التوضيحية التي توثق الملابس وزينة بشكل واضح.
- هناك فجوات معرفية الخاصة بالملابس والزينة التي تدعي الحاجة إلى الربط بين الملابس وواقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

أهداف البحث:

- يهدف البحث على دراسة التأثيرات الثقافية وتحليل كيف أثرت العوامل الثقافية والدينية على تصميم الأزياء والزينة النسائية.
- يهدف البحث إلى إبراز التطور التاريخي حيث تتبع تطور الملابس والزينة عبر فترة الحكم الفاطمي .
- استكشاف الأنماط المستخدمة في التطريز والزخارف، والمواد التي كانت شائعة في تلك الفترة.
- فهم دور الملابس والزينة في تحديد المكانة الاجتماعية والاقتصادية لطبقات النسائية في المجتمع الفاطمي.
- وأيضاً هذه الأهداف تساعد على تقديم فهم شامل لجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية والثقافة الملابس والزينة النسائية في الدولة الفاطمية.

منهجية البحث:

تم استخدام المنهج التاريخي الذي كان أساسه الجمع وتحليل المصادر التاريخية المتاحة حول الدولة الفاطمية، وقد تم تحليل المصادر الأولية وفحص النصوص التاريخية.

الخطة التفصيلية للبحث

تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة فأما الفصول فقد كانت على النحو الثالي:

ناقش الفصل الأول الذي عُنْوَنَ بعنوان ملابس نساء القصر رمز السلطة والرفاهية وبه ثلاث مباحث وهي:

- المبحث الأول: ملابس الرأس للنساء.
- المبحث الثاني: ملابس البدن الداخلية للنساء
- المبحث الثالث: الملابس الخارجية للنساء القصور

وشرح الفصل الثاني ملابس نساء العامة بساطة وأناقة وتضمن ثلاث مباحث أهمها:

- المبحث الأول: ملابس الرأس
- المبحث الثاني: ملابس البدن للنساء
- المبحث الثالث: ملابس النساء الذميات

وفصّل الفصل: الثالث أناقة الزينة والحلي لدى النساء الفاطميات وتميز هذا الفصل بثلاث مباحث وهن كالآتي:

- المبحث الأول: الأقراط والخواتم والعقود
- المبحث الثاني: الأساور والدلايات والخلاخل
- المبحث الثالث: المكاحل والعطور والمرايا والحمامات

وأما الخاتمة فقد تم بيان أهم النتائج التي تم الوصل لها في البحث، وتم تذيل البحث بقائمة المراجع باللغة العربية وقائمة المراجع باللغة الإنجليزية.

الفصل الأول: ملابس نساء القصر رمز السلطة والرفاهية

تعددت ملابس النساء وتنوعت في المجتمع المصري عبر العصور الإسلامية، ويعود ذلك إلى تنوع العناصر والفئات التي تشكل المجتمع. كما أن النساء كان لديهن اهتمام أكبر بملابسهن مقارنة بالرجال، حيث أبدعن في الزينة وإظهار جمالهن بشكل بارز (إبراهيم،2007: 251).

كان الفاطميون ينافسون العباسيين في جميع المجالات، بما في ذلك أسباب الحضارة. وقد بلغ التمدن الإسلامي ذروته، حيث تفوق الفاطميون على العباسيين في العديد من مظاهر البذخ والترف، خصوصًا في مجال الملابس. بينما كانت العباسيون يزينون عصائب نسائهم وخفافهن، اهتم الفاطميون بتزيين أواني المطبخ بالجواهر، واستخدموا كوز الزير المصنوع من البلور المزين بالأحجار الكريمة (بلال، 1982: 34)، يرى الباحثان مما سبق أنه تُظهر واضحًا بين الفاطميين والعباسيين فيما يتعلق بمظاهر الحضارة والتقدم. فقد نافس الفاطميون العباسيين في جميع المجالات، خاصة في الجوانب المتعلقة بالبذخ والترف، مما يعكس روح التنافس الحضاري بين الدولتين.

يشير النص السابق إلى أن الفاطميين حققوا تقدمًا ملحوظًا في مجال الملابس، حيث كانت أزياءهم تعكس فخامة وثراءً أكبر مقارنة بالعباسيين. بينما كان العباسيون يركزون على تزيين عصائب نسائهم وخفافهن، يبدو أن الفاطميين قد اتجهوا نحو تزيين عناصر أكثر عملية في حياتهم اليومية، مثل أواني المطبخ، مما يبرز اهتمامهم بالجمال والترف في جميع جوانب الحياة.

وأيضاً يرى الباحثان أن استخدامهم كوز الزير المصنوع من البلور المزين بالأحجار الكريمة يُظهر أيضًا فخامة الذوق الفاطمي، حيث لم يقتصر الاهتمام على الملابس فقط، بل شمل أيضًا الأدوات المنزلية. هذا التوجه نحو تزيين الحياة اليومية يعكس رؤية الفاطميين للحضارة، التي كانت تتجاوز مجرد الفخامة إلى دمج الجمال في كل جانب من جوانب الحياة.

وخلاصة القول وبشكل عام ومختصر ، أنه يمثل -النص- صورةً غنية عن التنافس الثقافي بين الفاطميين والعباسيين، وتبرز كيف أن كل حضارة كانت تسعى إلى إبراز هويتها من خلال مظاهر الترف والفخامة، مما ساهم في ازدهار الحضارة الإسلامية في تلك الفترة. .

لقد كان لدخول الإسلام إلى مصر وانتشاره تأثير كبير على تطور ملابس النساء، حيث عكست هذه الملابس أحكام الإسلام وقيمه التي تعزز مكانة المرأة وتحافظ على حشمتها ووقارها.

تُعد أغطية الرأس والوجه من أبرز أجزاء الملابس التي حظيت بأهمية خاصة، نظرًا لما أوصى به الإسلام من ضرورة تغطيتهما. لذا، ظهرت أنواع متعددة من هذه الأغطية، وتفننت النساء في زخرفتها وتزيينها، مما جعلها عنصرًا مميزًا لإبراز الجمال، خاصة خلال العصر الفاطمي، الذي شهد قمة الأناقة في ملابس النساء (إبراهيم،2007: 251). ويبدو أنه يبرز في النص أهمية أغطية الرأس والوجه كجزء أساسي من الملابس في الثقافة الإسلامية، مشيرًا إلى الوصايا الدينية التي تشدد على ضرورة تغطيتهما. هذا يعكس تأثير الدين على الموضة والتقاليد الاجتماعية، حيث تُعتبر هذه الأغطية رمزًا للحشمة والاحترام.

ويتناول النص أيضًا تنوع الأغطية وتفاني النساء الفاطميات في زخرفتها وتزيينها، مما يشير إلى أن هذه الأغطية لم تكن مجرد أدوات للستر، بل كانت أيضًا عناصر جمالية تعكس ذوق وثقافة المجتمع. يُظهر ذلك قدرة النساء على التعبير عن أنفسهن من خلال الأزياء، ويعكس روح الإبداع والفن في العصر الفاطمي، الذي يُعتبر فترة ازدهار في الأناقة والتصميم.

وكما أن الإشارة إلى العصر الفاطمي تعكس أهمية هذا الحقبة في تطوير الموضة النسائية، حيث كانت الأغطية تمثل قمة الأناقة، مما يعكس التقدم الاجتماعي والاقتصادي في ذلك الوقت.

وخلاصة القول وبشكل عام، يُبرز النص العلاقة بين الدين والجمال، ويشير إلى كيف أن ملابس النساء كانت تعكس القيم الثقافية والدينية، مما يعزز الهوية الاجتماعية ويعكس تطور الحضارة الإسلامية.

كان للنساء مكانة كبيرة في الدولة الفاطمية، خصوصًا نساء الطبقة الحاكمة. وقد تميزت الملابس وفقًا لمكانة من ترتديها، مما يشير إلى وجود طبقات مختلفة من النساء في البلاط الفاطمي، يتم تمييزهن من خلال ملابسهن. يُطلق على الزي النسائي عمومًا اسم "حلة"، مما يعني أن الملابس تكون

كاملة ومطرزة إما بالذهب أو الحرير (بلال، 1982: 45) ويتأكد للباحثان أن النص يظهر مكانة النساء في الدولة الفاطمية، ويشير إلى الدور المهم الذي لعبته النساء، خاصة في الطبقة الحاكمة. يُعكس هذا الاهتمام بمكانة النساء في المجتمع الفاطمي من خلال الملابس، التي كانت تُعتبر رمزًا للطبقات الاجتماعية.

وتتميز الملابس وفقًا لمكانة من ترتديها، مما يدل على وجود نظام طبقي واضح في البلاط الفاطمي. هذا التمييز في الأزياء يعكس الثقافة والفكر الاجتماعي في تلك الفترة، حيث كانت الملابس تُستخدم كوسيلة للتعبير عن الهوية الاجتماعية والنفوذ.

والإشارة إلى أن الزي النسائي يُطلق عليه اسم "حلة" تعكس أهمية الكمال والتفاصيل في تصميم الملابس. يُظهر ذلك كيف كانت الملابس النسائية تُعتبر أكثر من مجرد أزياء، بل كانت جزءًا من الهوية الثقافية والرموز الاجتماعية.

وكما يُشير إلى أن الملابس كانت تُطرز إما بالذهب أو الحرير، مما يعكس الرفاهية والتفرد في الأزياء، ويُظهر مدى اهتمام الدولة الفاطمية بجماليات الملابس وأهميتها في تعزيز الهوية الاجتماعية.

وخلاصة القول وبشكل عام ومختصر أن النص العلاقة بين إهتمام النساء الفاطميات بملابسهن، والمكانة الاجتماعية، ويعكس كيف أن الملابس كانت تُستخدم كوسيلة للتعبير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي، مما يعكس أيضًا التقدم الحضاري والثقافي للدولة الفاطمية.

المبحث الأول: ملابس الرأس للنساء

أولاً: العصابة

العصائب: جمع عصابة، والعِصاب والعصابة واحد. وهي كل ما يلف به الرأس ويدور عليه قليلًا، فإن زاد فعمامة (إبراهيم، 2002: 326). تُعد أغطية الرأس من أكثر العناصر شيوعًا بين جميع النساء، رغم اختلاف موادها وطرق صنعها. تتكون هذه الأغطية من شريط من قماش الحرير أو الشاش الموصلي، يُلف حول الرأس وينتهي من الخلف بعقدة واحدة مزينة بالخرز أو اللؤلؤ. وكانت معظم عصائب النساء من الطبقة العليا تتميز بتطريزها بخيوط الذهب، وتزيينها بالأحجار الكريمة، مما يعكس مكانتهن الاجتماعية ومستواهن المالي، ويساعدهن في التميز عن غيرهن من الطبقات (إبراهيم، 2007: 252). ومما سبق يتبين للباحث أن العصابة تستعملها كل النساء، ولكن نساء القصور والطبقة العليا ميزت عصائبهن بالجواهر والأحجار الكريمة ليتميزن عن نساء العامة.

كان لانتشار العصائب وولع أغلب النساء بارتدائها أثر في ارتفاع أسعارها، فكان سعر المتوسط منها الخالي من التطريز [1] (الحميري، 1999، 4102.7) والزخرفة[2] (عمر، 2008: 978.2) ما بين أربعة إلى خمسة دنانير، في حين بلغ سعر بعض عصائب نساء الخلفاء والطبقات العليا خمسين دينارًا (إبراهيم،2007: 252).

ثانيا: العمامة النسائية

العمامة: هي ما يُلَفُ على الرأس، جمعها عمائم (الفيروز آبادي، 1999: 118.4)، استخدمت النساء عمائم خاصة بأشكال وخامات متنوعة تتناسب مع منازلهن ومستوياتهن المادية، لكن ما ميز عمائم النساء هو أنها كانت أصغر حجمًا مقارنة بعمائم الرجال (إبراهيم،2007: 325).

عُرفت العمامة بأشكال متنوعة، حيث يمكن أن تُعقد على الرأس فقط أو يتدلى منها أجزاء على الظهر، وأحيانًا تنتهي بجزء صغير يتدلى خلف الرأس. وكانت العمامة تُزخرف بالجواهر والدرر. لم يكن استخدام هذا النوع المرصع[3] (الفرابي، 1987: 1219.3)، مقتصرًا على النساء الفاطميات فقط، بل وُجدت أيضًا عمامات في قوائم الجهاز الخاصة بعرائس الفسطاط[4] (الفيومي الحموي، د.ت: 472.2)، مصنوعة من أقمشة فاخرة ومزينة بالذهب واللؤلؤ (أحمد، 1993: 149).

ثالثًا: التاج

التاج: هو نوع من أغطية الرأس، وأصله كلمة فارسية، يُستخدم للزينة. يتكون من طاقية عالية ويُزين بالجواهر ويُكلل بالدرر (أحمد، 1993: 151)، كانت نساء الطبقة الحاكمة، مثل زوجات الخلفاء والوزراء، يحرصن على ارتداء التاج. كما كانت بعض العرائس من العائلات الثرية يتزين به في يوم زفافهن (إبراهيم،2007: 252).

رابعاً: المعجر

المعجر: هو نوع آخر من أغطية الرأس، وقد ارتدته كل من النساء الفاطميات والمصريات. يتكون من غطاء يمتد من الرأس حتى القدم. لم يقتصر ارتداؤه على النساء البالغات، بل ارتدته أيضًا الفتيات الصغيرات. يُطلق على المعجر الخاص بالمرأة الفاطمية اسم "معجر مذهب موشح[5] (الفراهيدي، د.ت:

---

[1] **التطريز:** يقال: ثوب مطرز بالذهب إي منسوج .

[2] **الزخرفة:** فن التزيين الأشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم وغير ذلك .

[3] **المرصع:** الترصيع هو التركيب يقال تاج مرصع بالجواهر وسيف مرصع أي محلى بالرصائع وهي حلق يحلى بها .

[4] **الفسطاط:** بضم الفاء وكسرها بيت من الشعر والجمع فساطيط والفسطاط بالوجهين أيضاً مدينة مصر .

[5] **الوشاح:** من حلي النساء كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح به المرأة.

263.3) مجاوم مطرف" (أحمد، 1993: 153)، أي معجر مطرز بالذهب والرسومات وله طرف، وهذا النوع من المعاجر خاص بزوجات الخليفة وبعض نساء الطبقة العليا (إبراهيم، 2007: 256)، والواضح أن قيمة التاج تكون تبع مواد صناعة وتكون من مواد متنوعة تعكس الثراء والفخامة، ومنها: الأقمشة الفاخرة مثل الحرير والساتان، وكذلك الجواهر مثل اللؤلؤ والماس والأحجار الكريمة، والذهب أيضاً كان يُستخدم في التطريز والزخرفة، والدرر لإضافة لمسة من الفخامة على تاج النساء الفاطميات، والخيوط الملونة لتزيين الأقمشة وإضفاء جمالية على التصميم، وهذه المواد ساهمت في إبراز قيمة التاج والمعجر كرموز للزينة والمكانة الاجتماعية.

خامساً: الحجاب

تُعتبر من أغطية الرأس والوجه معًا، وقد كانت النساء الفاطميات، وخاصة نساء القصر، يستخدمن الحجاب بشكل واسع (إبراهيم،2007: 254)، لم يكن الحجاب شائعًا بين جميع النساء المصريات، حيث أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله أمرًا في سنة (395هـ/1005م) يمنع النساء من كشف وجوههن في الشوارع أو أثناء المرور خلف الجنازات (أحمد، 1993: 715)، ويتضح للباحث مما سبق أنه يتناول النص أهمية الحجاب كأحد أغطية الرأس والوجه، مشيرًا إلى استخدامه الواسع من قبل النساء الفاطميات، وخاصة نساء القصر. يُظهر ذلك كيف كان الحجاب عنصرًا أساسيًا في ثقافة الأزياء النسائية في تلك الفترة، مما يعكس القيم الاجتماعية والدينية، ومع ذلك، يلفت النص الانتباه إلى أن الحجاب لم يكن شائعًا بين جميع النساء المصريات، مما يدل على وجود تباين في الممارسات الثقافية بين مختلف الطبقات الاجتماعية. يُظهر ذلك كيف أن الحجاب كان قد يُعتبر رمزًا للطبقة العليا أو الحاكمة، في حين أن الفئات الأخرى قد لا تكون ملتزمة بنفس المعايير.

وبالإشارة إلى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله في سنة (395هـ/1005م) الذي يمنع النساء من كشف وجوههن في الشوارع أو أثناء المرور خلف الجنازات، تُبرز دور السلطة في تحديد معايير الحشمة والستر في المجتمع. هذا الأمر يعكس الجوانب السياسية والدينية في المجتمع الفاطمي، حيث كانت القوانين تُستخدم كوسيلة لفرض القيم الثقافية والاجتماعية.

ويختم القول في هذا الصدد أنه يُبرز النص التوتر بين القيم الثقافية والدينية والواقع الاجتماعي، ويعكس كيف كان الحجاب يمثل جزءًا من الهوية النسائية في العصر الفاطمي، مع الإشارة إلى الاختلافات في الممارسات بين الطبقات المختلفة.

سادساً: البرنس

البرنس: هو كل ثوب رأسه منه ملتصق به من ذراعه أو جبة أو ممطر (الكاجراتي، 1967: 168.1)، حيث كانت برانسهن تُزين بالجواهر وتُحلى بسلاسل ذهبية مزينة بالأحجار الكريمة (إبراهيم،2007:

256). ومما سبق يتضح للباحث مدى شغف النساء بأغطية الرأس وذلك لكثرة أنواعها وتعددها، وكذلك تزيينها بالجواهر والأحجار الكريمة وتطعيمها بخيوط الذهب، مما يدل على اهتمام المرأة الفاطمية بهذه الأغطية.

أما بالنسبة للأجزاء الأخرى من ملابس النساء، فقد شملت الملابس الداخلية والخارجية، التي كانت متنوعة ومتعددة. ويُعرف عن النساء ميلهن إلى التجمل والظهور بمظهر متميز.

المبحث الثاني: ملابس البدن الداخلية للنساء

أولاً: الصدار

الصدار: هو ثوب يشبه المقنعة في الجزء العلوي، ويغطي الصدر والمنكبين. ترتديه النساء كقميص صغير يلاصق الجسد (الزبيدي، د. ت: 298.12). يُعد من أكثر الملابس الداخلية شيوعًا بين النساء بمختلف طبقاتهن، ويتميز بأكمامه القصيرة. بسبب ملامسته المباشرة للجسم، تحرص النساء على صناعته من الأقمشة الناعمة مثل الحرير (إبراهيم،2007: 257).

بالنسبة للأجزاء الداخلية التي غطت الجزء السفلي من جسد المرأة، فقد كانت تقتصر غالبًا على النقبة والمئزر والسروال. لم تختلف هذه القطع بين النساء من مختلف الطبقات، سواء كن من العامة أو الطبقات العليا، إلا في نوعية الخامات المستخدمة. ويُعتبر السروال الأكثر شيوعًا بينها (إبراهيم،2007: 258).

ثانياً: السروال

السروال: هو لباس يتكون من حُجْزة مخيطة وساقين كما في الشكل (1) إذا لم يكن له ساقان وله حُجْزة، يُسمى نُقْبّة. وإذا لم يكن له حُجْزة مخيطة ولا ساقان، بل يُشد في الوسط ويُرسل أعلاه على أسفله، يُسمى نِطَاقًا (ابن الإجدابي، د.ت: 229). ويعني ذلك الرباط أو الشد المستخدم لربط السراويل (إبراهيم، 2002: 234). تتنوع أشكاله بين الضيق الذي يصل إلى القدم والواسع (أحمد، 1993: 153). حرصت العديد من النساء، خاصة من الطبقات العليا، على تزيينه وصناعته من الحرير، وكانت التكة تُباع بشكل منفصل وتُزين بالجواهر (السيوطي، 1998: 243.2). ومما سبق يتبين للباحث أن الملابس الداخلية لنساء القصور والطبقات العليا ونساء العامة كانت لا تختلف في شكلها وإنما تختلف في نوع القماش الذي تصنع منه.

شكل 1. قطعة خزف فاطمي موضوعه راقصة ترتدي رداء إلى منتصف القدم تحته سروال نقلاً عن إبراهيم (2007: 372).

المبحث الثالث: الملابس الخارجية لنساء القصور

أولاً: الإزار

الإزار: هو قطعة قماش تُلف حول الجزء السفلي من الجسم، ويختلف في الطول والعرض ويمكن ارتداؤه بطرق متنوعة. يُعتبر عربي الأصل، حيث يُستخدم لتغطية الجسم من الحزام إلى منتصف الساق، وهو مفهوم كان موجودًا عند الهيرودوت في حديثه عن الجيش (Dozy, 1981: 19). وهو يُعد من الأغطية الكبيرة التي ترتديها النساء عند الخروج، واهتمت نساء الطبقات العليا بتفصيله باستخدام خيوط الإبريسم والذهب على جوانبه. كلمة "إبريسم" معربة وأصلها فارسي، وتعني الملابس المصنوعة من الحرير (إبراهيم، 2002: 26)، ويتناول النص مفهوم الإزار كقطعة قماش تُستخدم لتغطية الجزء السفلي من الجسم، مشيرًا إلى تنوعه في الطول والعرض وطرق ارتدائه. يُعتبر الإزار جزءًا من الملابس التقليدية ذات الأصل العربي، حيث يُستخدم لتغطية الجسم بدءًا من الحزام حتى منتصف الساق، مما يعكس تقاليد الستر والحشمة في الثقافة العربية.

والإشارة إلى الهيرودوت تشير إلى أن استخدام الإزار كان موجودًا منذ العصور القديمة، مما يُظهر استمرارية هذا العنصر في الملابس عبر التاريخ. يُبرز النص أيضًا دور الإزار كغطاء رئيسي للنساء عند الخروج، مما يعكس أهمية هذا النوع من الملابس في الحياة اليومية.

وكما يُشير النص إلى اهتمام نساء الطبقات العليا بتفصيل الإزار باستخدام خيوط الإبريسم والذهب، مما يدل على ارتباط الرفاهية والفخامة بالملابس. يُظهر ذلك كيف كانت الملابس تُستخدم كعلامة للثروة والمكانة الاجتماعية.

وكلمة "إبريسم" التي أُشير إليها كمعربة، تعني الملابس المصنوعة من الحرير، مما يُبرز تأثير الثقافات المختلفة على اللغة والمصطلحات المستخدمة في الملابس.

بشكل عام، يُظهر النص كيف أن الإزار كان يُعتبر عنصرًا مهمًا في الملابس التقليدية، ويعكس القيم الثقافية والاجتماعية المتعلقة بالستر والموضة، بالإضافة إلى تداخل الثقافات وتأثيرها على الأزياء.

ثانياً: القباء

وهو قباي راه بالفارسي ومعناه ثوب السفر وهو أقرب لهذا اللفظ (التونجي وطلائى، 1992: 441) وهي من ضمن الملابس التي ترتديها بعض نساء الطبقات العليا وزوجات الخلفاء ويزين باللؤلؤ وينسج بالذهب (إبراهيم،2007: 260).

ثالثاً: الثوب

وهو عبارة عن رداء كما في الشكل (2) واسع ومسترسل، ويلبس فوق الملابس الداخلية (أحمد، 1993: 415). الثوب كان يأتي عادة إما طويلًا أو قصيرًا بحيث يظهر السروال من أسفله، ويتميز بذيل طويل من الخلف. في العصر الفاطمي، كانت أغلب أثواب النساء مزخرفة بتطريزات نباتية تزين الذيل والأكمام وفتحة العنق، وغالبًا ما كانت بألوان وردية وبنفسجية. تميزت أثواب نساء الطبقات العليا بصناعتها من الحرير أو الشرب (إبراهيم،2007: 260).

رابعاً: الأحزمة

من المتممات الملابس النسائية هي الأحزمة الخارجية لملابس النساء، كان الوشاح يستخدم كأحد الأحزمة من قبل زوجات الخلفاء والوزراء فوق ملابسهن. كان يُزيّن دائمًا بالجواهر والأحجار الكريمة. وقد بلغ اهتمام نساء الطبقات العليا بالأوشحة حد استخدام بعضهن وشاحين متقاطعين لإضافة لمسة جمالية إضافية (إبراهيم،2007: 263).

شكل 2. قطعة خزف فاطمي يصور جسد امرأة بدون رأس ويظهر بها لباس الثوب
نقلاً عن إبراهيم (2007: 374).

كانت ملابس القدم تقتصر على النعال، وهي ما يُستخدم لحماية القدم من الأرض. النعل مؤنث، وجمعه نعال. كانت النعال العربية تُصنع من جلود[6] الإبل (الفراهيدي، 2004: 90)، وتُستخدم أثناء المشي. لا شك أن ارتداء الحذاء والنعل أصبح ضرورة تفرضها الحضارة العالمية، بالإضافة إلى متطلبات الصحة والجمال. فهي تحمي الأقدام من الأجسام الحادة، والشوك، وحرارة الأرض، كما تحافظ عليها من الأوساخ والنجاسات والحشرات، وتوفر لها الدفء في أيام الشتاء والأمطار (العدناني، 1999: 279)، امتازت خفاف ونعال زوجات الخلفاء ونساء الطبقات العليا بأنها كانت تُصنع من نسيج فاخر مرصع بالجواهر. كانت تُعد لهن خفاف خاصة في دبيق[7] (الحموي، 1995: 438.2)، بينما كانت خفاف النساء من الفئات الأخرى تُصنع من الجلود (إبراهيم،2007: 263)، مما سبق تضح للباحث أن ملابس نساء القصر الفاطميات ونساء الطبقات العليا، كان ما يميز ملابسهن هو نوع النسيج المستخدم في صناعتها وكذلك الجواهر والأحجار الكريمة التي ترصع وتزين بها الملابس كذلك خيوط الذهب التي تنسج في بعض الملابس لزخرفتها. مما يميزها عن ملابس الطبقات الأخرى من النساء رغم اشتراكها في نفس الاسم والتفصيل.

[6] الجلد : غشاءُ جسد الحيوان.
[7] دبيق: بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، تنسب إليها الثياب الدبيقية.

الفصل الثاني: ملابس نساء العامة بساطة وأناقة

تُعتبر طبقة العامة من الطبقات النسائية المهمة والمؤثرة في معظم المجتمعات، وخاصة في المجتمع المصري. فهي تشكل جزءًا كبيرًا من البنية الاجتماعية لطبقات المجتمع، نظرًا لتنوع عناصرها وفئاتها المختلفة.

كما تتميز طبقة العامة بتنوع ملابسها، نتيجة لاختلاف عناصرها وتفاوت مستوياتها المادية. ومن الجدير بالذكر أن معظم ملابس العامة كانت مرتبطة بشكل رئيسي بالمهن والحرف التي تمارس في المجتمع، وغالبًا ما كانت جزءًا لا يتجزأ من هذه المهن لتناسب طبيعة الأعمال (إبراهيم،2007: 265).

كانت ملابس نساء العامة متعددة ومتنوعة نظرًا لتنوع عناصرهن داخل المجتمع المصري، حيث شكلت بعض هذه العناصر قطاعًا كبيرًا في الحياة الاجتماعية. ومن بين هذه العناصر، الجواري، وهن كل امرأة جارية، حتى وإن كانت عجوزًا لا تستطيع الحركة (الفيومي، 2010: 4). تُعرف الجارية أيضًا بأنها المرأة التي أُخذت أسيرة في الحرب بشرط أن تكون غير مسلمة، إذ لا يجوز استعباد المسلمات (بشينة، 2023: 1000). بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك الإماء والقيان والفلاحات والممتهنات لبعض الحرف (نجم، 2006: 201). وقد كانت أغطية الرأس تحتل مكانة مهمة لدى العامة (إبراهيم،2007: 275)، تناول الباحثون السابقون أن تنوع ملابس نساء العامة في المجتمع المصري الفاطمي، ويشيرون إلى أن هذا التنوع نابع من الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية بين فئات المجتمع. يبرز النص أهمية الجواري، الذين يُعتبرون جزءًا أساسيًا من التركيبة الاجتماعية، حيث تشمل هذه الفئة النساء في الدولة الفاطمية اللاتي أُخذن كسبايا في الحروب، مما يُظهر الجوانب التاريخية والاجتماعية لاستعباد النساء في تلك الفترة.

والإشارة إلى أن الجارية تعكس مدى تنوع الأدوار والمسؤوليات التي كانت تُعطى للنساء في المجتمع، مهما كانت ظروفهن. كما تبرز تعريفات الجارية، بأنها المرأة التي أُخذت أسيرة، مما يُعكس القيم الثقافية والدينية، حيث يُمنع استعباد المسلمات، مما يُظهر التمييز بين النساء بناءً على الدين.

ويشيرون إلى وجود فئات أخرى مثل الإماء والقيان والفلاحات، مما يعكس التنوع الواسع في الأدوار الاجتماعية والاقتصادية للنساء. هذا التنوع يُظهر كيف أن ملابس النساء كانت تعكس مكانتهن الاجتماعية، حيث كانت كل فئة ترتدي ما يناسب وضعها.

أخيرًا، تُبرز أهمية أغطية الرأس في المجتمع، حيث كانت تحتل مكانة مهمة لدى العامة، مما يدل على أن هذه الأغطية لم تكن مجرد عناصر للستر، بل كانت أيضًا تعبر عن الهوية الثقافية والاجتماعية.

المبحث الأول: ملابس الرأس

أولاً : العصائب

تُعد العصائب من أشهر وأوسع أغطية الرأس انتشارًا، حيث كان استخدامها شائعًا بين الجواري والقيان، خاصة في العصر الفاطمي. غالبًا ما كانت تُكتب على هذه العصائب أشعار وكلمات مسجوعة تتناول موضوعات الحب والغزل. كما حرصت بعضهن على تزيين عصائبهن بإضافة حبات من الخرز أو اللؤلؤ في الأطراف المنسدلة، تماشيًا مع أسلوب نساء الطبقات العليا **(إبراهيم،2007: 276)**.

ومما كتب على عصائب الجواري (الوشاء، 1953: 224):

من يكن صبًا وفيًّا ... فزمامي في يديه

خـذ مليكـي بعنـاني ... لا أنازعـك عليـه

استعملت بعض الفلاحات نوعًا من العصائب يُعرف بالرفراف والتربيعة. الرفراف هو خرقة سوداء تعصبها المرأة على رأسها، بينما التربيعة تكون مربعة الشكل ثم تُطوى على شكل مثلث لتعصَب بها الرأس، وغالبًا ما تأتي بألوان متنوعة.

كما كانت عصائب بعض نساء العامة تتميز بألوان خاصة تميزهن؛ فكانت عصائب الندابات في المآتم زرقاء اللون، وكذلك عصائب الغاسلات **(إبراهيم،2007: 276)**.

ثانياً: الخمار

الخمار هو: الخمر بضم الخاء والميم، ومفرده خمار بكسر الخاء، وهو ما تغطي به المرأة رأسها. سُمِّي بذلك لستره، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار (البعلي، 2003: 37). رغم ارتباطه بالحرائر، إلا أنه مع بداية العصر العباسي بدأت بعض الإماء بارتدائه، مما أدى إلى تنوع أنواعه وألوانه، ومنه نوع يسمى النصيف (إبراهيم، 2007: 277). النصيف هو ثوب ترتديه المرأة فوق ملابسها، وسُمِّي نصيفاً لأنه يفصل بين الناس وبينها، فيحجب أبصارهم عنها (إبراهيم، 2002: 494). ومع انتشار الإسلام، أصبح الخمار واسع الانتشار وانخفضت أسعاره مقارنة بأغطية الرأس الأخرى، حيث تراوح سعره بين الدينار ونصف الدينار.

البخنق كان من أغطية الرأس صغيرة الحجم التي لاقت إقبالاً كبيراً من نساء العامة، حتى أصبح له سوق خاص في أواخر العصر الفاطمي يُعرف بسوق البخناقيين. ونظرًا لشعبيته، لم يتجاوز سعره نصف دينار. أما المعجر، فقد ارتدته نساء العامة تقليداً للنساء من الطبقات العليا، لكنه كان يُصنع من خامات أقل جودة وأرخص ثمناً، وخالياً من التطريز (إبراهيم،2007: 277).

المبحث الثاني: ملابس البدن للنساء

أولاً: الملابس الداخلية

الملابس الداخلية التي تغطي الأجزاء السفلى من الجسد لم تختلف في أسمائها ومكوناتها بين نساء العامة والخاصة، إنما اختلفت في نوعية الخامات. كان السروال من أكثر الملابس الداخلية انتشاراً بين نساء العامة، حيث تفنّن في زخرفته وارتداء أشكال متنوعة منه.

وكانت الجواري من أكثر الفئات استخداماً للسراويل، حيث أبدعن في زخرفتها وكتابة الأبيات الشعرية وعبارات الحب على التكك، وهي ظاهرة انتشرت في العصر الفاطمي (إبراهيم،2007: 278).

بعض نساء العامة اللواتي احترفن المنادمة استخدمن السراويل للإعلان عن مهنتهن، حيث كن يرتدين سراويل خاصة مصنوعة من الجلد، وتميزت دائماً بلونها الأحمر. كن يقفن بها في سوق الشماعين بالقاهرة خلال العصر الفاطمي (إبراهيم،2007: 279).

ثانياً: الملابس الخارجية

تُعدّ ملابس البدن الخارجية الأكثر شيوعًا بين النساء من الطبقات العامة هي الصدار. ورغم أن الصدار كان يُصنَع عادةً من أقمشة رقيقة وناعمة لملامسته لجسد المرأة، إلا أن بعض النساء من ذوات الوضع المالي المحدود كنّ يلجأن إلى استخدام الكتان لصنعه. كما كانت بعضهن ترتدي صدارات مصنوعة من الصوف في أوقات الحداد، تعبيرًا عن مشاعر الحزن (إبراهيم،2007: 278).

كان هناك لباس مشابه للصدار يُعرف بالاصدة، وهو قميص بدون أكمام يُرتدى تحت الثوب مباشرة، وخصص للجواري الصغيرات قبل سن البلوغ. ومن الملاحظ أن القمصان الداخلية كانت أكثر قطع الملابس شيوعًا بين الجواري والقيان والراقصات، خاصة في العصر الفاطمي، حيث كانت هذه الفئات تحظى بأهمية كبيرة لدى الخلفاء والوزراء وملأت القصور والمجالس.

تميزت أغلب قمصانهن بقصرها وشفافية نسيجها، وكانت خالية من الأكمام، خاصةً تلك التي تُرتدى في أوقات التبذل والمنادمة. كما كانت تحمل العديد من الأسماء مثل المجول والعلقة والمجسد والغلالة (إبراهيم،2007: 278)، ومما سبق يتبين للباحث أن ملابس نساء العامة أكثر تنوعًا من ملابس نساء الخاصة والطبقات العليا؛ وذلك لكثرة وتنوع المهن التي تقوم بها نساء العامة، وأيضًا تشابه بعض الملابس بين نساء الخاصة والعامة في الاسم والشكل،واختلافها في القماش الذي تصنع منه، وكذلك تميز ملابس الخاصة بترصيع ملابسهن بالجواهر وتطريزها بالذهب.

تُعد الملابس الخارجية، وخاصة الإزار، من أكثر الأجزاء شيوعًا في ملابس نساء الطبقات العامة، حيث كانت معظمهن يلتففن به عند الخروج، كونه يشبه الملاءة العريضة. بالإضافة إلى ذلك، انتشرت بينهن بعض الأغطية الخارجية مثل الملحفة، التي تُعتبر ملاءة سميكة، وإذا كانت مبطنة أو

محشوة، تُعرف لدى العامة بالملحفة (مطلوب، 1995: 121). كما توجد الريطة، التي تعني الملحفة أيضًا، وجمعها مُلاءٌ. وفي سياق الاستسقاء، وُصف السحاب بأنه يتمزق كأنه الملاءُ عند الطي. يُشار إلى أن المُلاء، بالضم والمد، هو جمع مُلاءة، ويعني الإزار والريطة (ابن منظور، 1992:160.1).

وقيل شعرا فيها:

لا مَهْل حَتَّى تلحقي بغنْسِ

أهل الرباط البيض والقلنسي

ولا تكون الريطة إلا بيضاء، والرائطة: كالريطة. وفي حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-:" أتى برائطة يتمنذل بها بعد الطعام فطرحها" (مطلوب، 1995: 65) والحبرة وهي ضرب من برود اليمن (مطلوب، 1995: 48).

ومن الملابس الشائعة بين نساء العامة الجلباب، إذ استخدمته فئات عديدة منهن، خاصة في القرى والريف، فكانت ثيابهن الخارجية مقصورة ـ غالبًا ـ على الجلباب الأزرق الواسع الأكمام ـ دومًا ـ ليتيح لهن حرية الحركة في أعمال الحقل (إبراهيم،2007: 280).

يُعتبر الثوب من أكثر الملابس الخارجية شيوعًا بين النساء الفاطميات، رغم اختلاف تصاميم أثواب بعض فئات النساء من العامة. كانت أثواب الراقصات والمغنيات تتميز دائمًا بأنها ضيقة وتلاصق أجسادهن، كما كانت تحتوي على عدة فتحات جانبية لتسهيل الحركة وكشف الأرجل أثناء الرقص. كما كانت فتحة العنق واسعة مقارنةً بأثواب باقي الفئات النسائية (إبراهيم،2007: 280).

تزينت الأثواب بزخارف تتضمن رسومات نباتية على الذيل والأكمام، وغلبت الألوان الوردي والبنفسجي على تصاميمها. وكان سعر الثوب البسيط دينارين، بينما تراوح سعر الثوب الأنيق بين ثلاثة وأربعة دنانير (أحمد، 1993: 150).

كانت الأحزمة من مكملات الملابس الخارجية لدى نساء العامة، وكان أشهرها ما يعرف بالنطاق والبريم، والنطاق عبارة عن شريط من القماش الرفيع تشده المرأة على وسطها وترسل الجزء الأعلى منه إلى الركبة والجزء الأسفل ينجر إلى الأرض، وكان النطاق يصنع غالبًا من الكتان أو القطن، وأما البريم فهو خيط مفتول من لونين تشده المرأة على وسطها (إبراهيم، 2002: 59) ويُرى مما سبق أن أهمية الأحزمة كمكملات للملابس الخارجية لدى نساء العامة، مُشيرًا إلى نوعين بارزين: النطاق والبريم.

وأيضاً يرى أنه يساعد في ضبط الملابس، بالإضافة إلى كونه عنصرًا زينيًا. الجزء العلوي من النطاق يُرسل إلى الركبة، بينما يتدلى الجزء السفلي إلى الأرض، مما يُضفي شكلًا مميزًا على الزي. غالبًا ما يُصنع من الكتان أو القطن، مما يشير إلى المواد المتاحة في ذلك الوقت والتي كانت تُستخدم بشكل

شائع في صناعة الملابس، وتُعتبر الأحزمة جزءًا أساسيًا من الأزياء النسائية، حيث تُعزز من شكل الملابس وتُظهر الأناقة. كما أن تصميم الأحزمة واستخدام المواد المختلفة يُعبر عن الثقافة والتقاليد الاجتماعية في ذلك الوقت، مما يُظهر كيفية تفاعل النساء مع الموضة والأزياء.

أما ملابس القدم فتميزت نساء العامة وبعض الجواري بارتداء نوع من الخفاف عرف بالزرابيل، وهو حذاء غليظ أحمر ذو حواشي واسعة طرفه معقوف إلى الأعلى وله كعب ذو حديد، ويغطي القدم كلها وجزء من الساق (إبراهيم،2007: 281).

وانتشر أيضًا بينهن نوع آخر من الخفاف يُعرف بالسرموزه، وهو نوع من الأحذية يُرتدى فوق الخف أو الخف الواسع. كما كانت بعض أحذية الراقصات تُصنع من النسيج بدلاً من الجلود، مما يجعلها أخف على أقدامهن أثناء الرقص (إبراهيم،2007: 281).

ومن بين ملابس القدم التي تفضلها نساء العامة داخل المنزل، كان القبقاب، الذي يتميز برخص ثمنه وقوة تحمله، ويُصنع عادةً من الخشب مع زينة وأصداف لؤلؤ أحيانًا (إبراهيم، 2002: 279).

يتضح من ذلك أن نساء العامة كن يرتدين ثيابًا تشبه أزياء الطبقات العليا من حيث التصميم، ولكن تختلف في جودة ونوع القماش. كما كانت أزياؤهن تتسم بألوان خاصة ترتبط بالأعمال التي يمارسنها.

المبحث الثالث: ملابس النساء الذميات

إن ملابس النساء من أهل الذمة[8] (المناوي، 2002: 350) لم تختلف كثيرًا عن ملابس غيرهن من المسلمات إلا في بعض التفاصيل الجزئية التي تميزهن، إذ ارتدت أغلبهن الكثير من أجزاء الملابس السائدة بين أغلب النساء، كما كانت طريقة تفصيل ملابسهن وحياكتها واحدة بالنسبة للنساء آنذاك (إبراهيم،2007: 290).

احتلت أغطية الرأس مكانة بارزة لدى الذميات كما كانت عند المسلمات، بل زاد الاهتمام بها لدى نساء اليهود، خاصة خارج المنزل. ومن أكثر أغطية الرأس شيوعًا لديهن ما يُعرف بالميجار، وهو غطاء يشبه الخمار يُلف حول الجسم بالكامل من الأس والرقبة. كان يُستخدم بكثرة أثناء الترحال والسفر، حيث يحميهن من الغبار والأتربة.

[8] الذمة:-لغة- العهد؛ لأن نقضه يوجب الذَّم، ومنهم من جعلها وصفًا، وعرفها بأنها: وصف يصير الشخص به أهلًا للإيجاب له وعليه.

كما ارتدت بعضهن القلانس تحت العمائم، ومن بين هذه القلانس نوع يُسمى بالمارقة، الذي تميز بصغره وضيقته لامتصاص العرق. وقد انتشرت بين نساء اليهود عدة أغطية رأس أخرى كانت شائعة في ذلك الوقت، مثل البخنق والعصابة والمعجر (إبراهيم،2007: 291).

كذلك ارتدت بعض نساء أهل الذمة الحجاب، ووجد بعض أنواع للحجب في قوائم الجهاز الخاصة بالمرأة اليهودية (أحمد، 1993: 715).

أما نساء النصارى فلم تختلف أغطية الرأس لديهن عن أغطية الرأس لدى نساء اليهود، كما لم يوجد ما يميزها في أي من أجزائها (إبراهيم،2007: 291). مما سبق يتبين للباحث أن أغطية الرأس بالنسبة لنساء اليهود ونساء النصارى لا تختلف عن بعضها، كما أنها في المجمل لا تختلف عن أغطية الرأس لنساء المسلمين.

كانت الملابس الخارجية لنساء أهل الذمة تختلف قليلاً عن ملابس المسلمات، خاصة فيما يتعلق ببعض الألوان التي فرضتها شروط ملابسهم. فقد ارتدت اليهوديات إزارًا أصفر، بينما كانت السامريات يرتدين إزارًا أحمر، أما النصرانيات فكان إزارهن زرقاء. كما كان يتطلب ارتداء الإزار وضع زنار فوقه يُظهر الألوان المفروضة عليهم.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الشروط المتعلقة بألوان الأزر والزنانير لم تُطبق بشكل صارم إلا في أوقات الأزمات أو خلال فترات بعض الخلفاء الفاطميين، مثل الحاكم بأمر الله وبخلاف ذلك، لم تكن معظم نساء أهل الذمة ملتزمات بهذه الشروط (إبراهيم،2007: 292)، مما سبق يتضح للباحث أن ملابس النساء الذميات لا تختلف من حيث التفصيل عن ملابس غيرهن من المسلمات إلا في ألوانها.

الفصل الثالث: أناقة الزينة والحلي لدى النساء الفاطميات

تميزت الحلي الفاطمية بزخارف مخرمة تشبه الأسلاك الذهبية الممتدة، مما أضفى عليها أشكالًا هندسية مميزة، بالإضافة إلى تزيينها برسوم طيور ملونة باستخدام المينا. كانت النساء الفاطميات يملكن العديد من قطع الحلي، وقد تمتلك الواحدة منهن عدة قطع من النوع نفسه. كما كانت الطبقة الحاكمة تهتم بجمع قطع الجواهر والتحف النادرة التي تعكس ثراء الخلافة (أحمد، 1993: 161)، ومن أهم أنواع الحلي في العصر الفاطمي:

المبحث الأول: الأقراط والخواتم والعقود

أولاً: الأقراط

ولبس الأقراط في الأذن، يعتبر عادة قديمة. أما الأقراط التي شاع استعمالها في العصر الفاطمي، فغلب عليها الشكل الهلالي أو الإسطواني، وتصنع الأقراط من الذهب أو الفضة وتحلى باللؤلؤ.

ثانياً: الخواتم

شاع استعمال الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بفصوص من الأحجار الكريمة كالفيروز والعقيق.

ثالثاً: العقود

وهي تعتبر من القطع الهامة التي اقتنتها المرأة، لارتفاع أثمانها، مما يلجئ المرأة إلى التصرف فيها أثناء الأزمات الاقتصادية. والعقد في الغالب يتكون من حبات صغيرة ربما تكون من اللؤلؤ أو من الجواهر الأخرى، وكان أحيانًا مستديرًا يوازي الرقبة أو عبارة عن حبات مختلفة الألوان من الذهب والجوهر ويتدلى منه عدة دلايات من الذهب كما في الشكل (3) (أحمد، 1993: 163).

المبحث الثاني: الأساور والدلايات والخلخال

أولاً: الأساور

تصنع الأساور في العصر الفاطمي من الذهب كما صنعت من الفضة وحليت بالأحجار الكريمة، كما كانت تصنع من العنبر أو اللؤلؤ وتحلى بفصوص من الذهب. وهناك نوع آخر من الأساور كبيرة الحجم يسمى دملوج يوضع في أعلى المرفق ويصنع من الذهب.

ثانياُ: الدلايات

وتوجد بعض الدلايات على شكل هلال وعليه رسم بالمينا متعددة الألوان، كما تحاط بحبات من اللؤلؤ (أحمد، 1993: 165).

ثالثاً: الخلخال

الخلخال: هو ما تلبسه المرأة في رجليها من حُلي ويستعمل لزينة الساق (إبراهيم، 2002: 154) ،وحرصًا على الحلي التي كانت تقتنيها المرأة كانت تضعها في علب خاصة، وكانت هذه العلب تصنع من العاج، وتقوم على أربعة أرجل وعليها زخارف من طيور وطواويس (أحمد، 1993: 166).

شكل 3. عقد من ذهب تلبسه النساء في الدولة الفاطمية
نقلاً عن ابن الزبير (1959:389).

المبحث الثالث: المكاحل والعطور والمرايا والحمامات

أولاً: المكاحل

اهتمت المرأة في العصر الفاطمي بمعدات التجميل، وخاصة المكاحل، التي كانت تُستخدم لأغراض متنوعة مثل تزيين رموش العين والحواجب والجفون. كانت هذه المكاحل تُصنع من البلور الصخري أو النحاس، وتأتي بأشكال مختلفة، إما إسطوانية أو مثلثة أو مربعة، وتتميز بقوائم على هيئة أرجل. كما كانت تحتوي على أشرطة تحمل كتابات كوفية، مثل "بركة وسعادة لصاحبته" (أحمد، 1993: 166)، ويرى الباحثان مما سبق أنه يتناول في النص اهتمام المرأة في الدولة الفاطمية بمعدات التجميل، مُركزًا بشكل خاص على المكاحل، التي تُعتبر جزءًا من تقاليد الجمال النسائية في تلك الفترة، وتُستخدم المكاحل لتزيين رموش العين والحواجب والجفون، مما يُظهر كيف كانت النساء يسعين إلى تعزيز جمالهن بطرق مختلفة. يُعكس هذا الاهتمام بالجمال أهمية المظهر الشخصي في الثقافة الفاطمية.

وخلاصة قول الباحثان أنه يُظهر النص كيف كانت المكاحل جزءًا من تقاليد الجمال في العصر الفاطمي، مع التركيز على المواد الفاخرة والتصاميم المتنوعة. يُعكس هذا الاهتمام بالجمال والرفاهية مدى أهمية المظهر الشخصي في المجتمع، ويُبرز العلاقة بين الجمال والثقافة في تلك الفترة.

أما مكاحل الطبقات الفقيرة، فكانت تُصنع من الخشب. وكان لكل مكحلة مرود، وهو أداة مصنوعة من المعدن أو العاج يُستخدم للاكتحال (أبو حبيب، 1988: 156)، حيث يُبلل بالماء ليسهل استخدامه ويتعلق به الكحل. وكانت هذه المراود تُصنع أيضًا من العاج أو البلور، وقد تختلف في المواد المستخدمة مقارنةً بالمكاحل. كما كانت تُصنع بعض المراود من الفضة وتُرصع بالأحجار الكريمة (أحمد، 1993: 168).

يتضح من ذلك أن أدوات الزينة في العصر الفاطمي كانت متنوعة ومختلفة، وغالبًا ما تشابهت من حيث الشكل، لكن اختلفت المواد المصنوعة منها، مما يميز ما تستخدمه الطبقات العليا عن ما تستخدمه الطبقات الفقيرة، تمامًا كما هو الحال مع الثياب التي قد تتشابه في التصميم ولكن تختلف في نوع القماش أو النسيج كما في الشكل (4) ، لتبرز الفروق بين الطبقة الحاكمة والطبقات العامة.

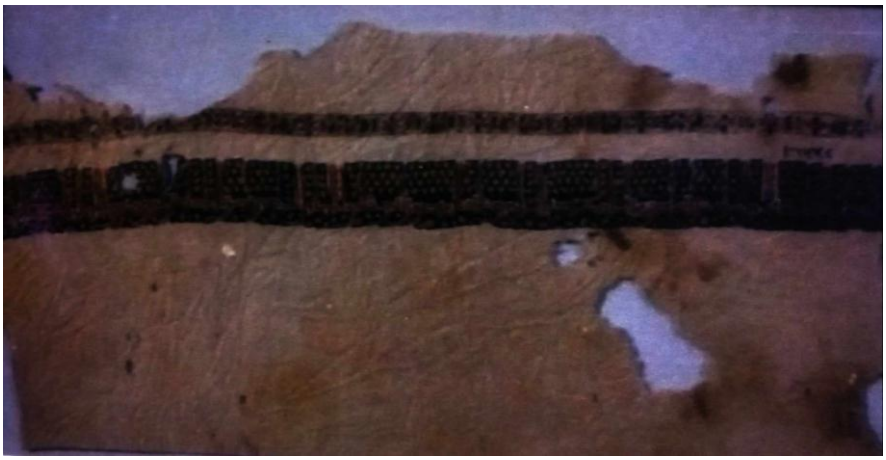

شكل 4. قطعة نسيج من العصر الفاطمي المبكر ترجع لعهد كل من المعز والعزيز والحاكم نقلاً عن إبراهيم (2007: 364)

ثانياً: العطور

لقد حرصت المرأة على استخدام العطور، التي كانت توضع في قنينات من البلور الصخري، وتزخرف بالرسوم الهندسية والفروع النباتية. وكذلك صنعت من الزجاج الأبيض ذي الزخارف المنحوتة تقليدًا للبلور الصخري (أحمد، 1993: 168).

ثالثاً: المرايا والحمامات

المرايا:

ولاستكمال أدوات الزينة استخدمت المرأة المرآة، التي بلا شك تعكس كل الأدوات السابقة، وكانت المرايا تصنع في الغالب من الحديد، كما كانت الطبقات الغنية في المجتمع تستخدم مرايا من الصلب أو الخزف المطعم بالذهب أو الفضة وترصع بالأحجار الكريمة.

الحمامات:

تعتبر مظهر آخر من مظاهر الزينة، وخاصة للمرأة؛ لأنها كانت بمثابة معاهد للتجميل في العصور الوسطى، حيث وجدت الماشطة والبلانة هي من تخدم في الحمام (مجمع اللغة العربية، د.ت: 70.1) اللتان تقومان بجميع وسائل التجميل سواء تصفيف الشعر أو إزالته من جسم السيدات، كما كانت توجد مجموعة من الجواري يقمن بعملية التدليك لجسم السيدات أثناء الاستحمام (أحمد، 1993: 170).

الخاتمة

بعدما تتبع تاريخ الملابس والزينة النسائية في الدولة الفاطمية بقدر المستطاع نتج عن البحث عدة نتائج أهمها الآتي:

- نتج عن البحث تنوع الملابس حيث أظهرت الدراسة تنوعًا كبيرًا في الملابس النسائية، حيث اختلفت الأنماط حسب الطبقات الاجتماعية، مما يعكس التفاوت الاقتصادي والثقافي.
- وأيضا نتج عنه تأثير الثقافة بحث تمثل الملابس والزينة جزءًا من الهوية الثقافية الفاطمية، حيث تأثرت بالعوامل الدينية والسياسية، مما ساهم في تشكيل أنماط جديدة.
- استخدام المواد الفاخرة حيث استخدمت النساء مواد فاخرة مثل الأقمشة الملونة والجواهر، والتيجان والأحزمة وغيرهما خاصة بين الطبقات العليا، مما يدل على مكانتهن الاجتماعية والاقتصادية.
- وأيضا نتج عن البحث أن الألوان والزخارف المستخدمة تحمل دلالات رمزية، تعكس الحالة الاجتماعية والمناسبات المختلفة مثل الأعراس والمآتم.
- ونتج عن البحث أن دور الجواري والقيان حيث لعبوا الجواري والقيان دورًا مهمًا في تشكيل أصناف الملابس النسائية، حيث كانت ملابسهن تعكس الفخامة والاهتمام بالتفاصيل.

- وقد استعملت النساء الزينة والإكسسوارات، وتناول البحث أيضًا أهمية الإكسسوارات مثل الأساور والخرز، والتي كانت جزءًا أساسيًا من الزينة النسائية.

المراجع

أولاً: قائمة المراجع باللغة العربية

إبراهيم. رجب عبد الجواد 2002، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1.

إبراهيم، محمد أحمد أحمد (2007)، *تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي*، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1.

ابن الأجدابي، إبراهيم *بن* إسماعيل *بن* أحمد الطرابلسي (د.ت)، *كتاب كِفاية المحتفظ في اللغة*، تح: السائح علي حسين، دار أقرأ، طرابلس.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (1992)، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ط 2.

أبو حبيب، سعدي (1988)، *القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا*، دار الفكر، دمشق، ط1.

أحمد، نريمان عبد الكريم (1993)، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ط).

بشينة، محمد عمر 2023، دور الجواري في الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة العباسية (132-656هـ/ 749- 1258م)، *مجلة المنتدى الأكاديمي: العلوم الإنسانية*، 7(3)، 1201-1222.

البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل أبو عبد الله شمس الدين (2003)، *المطلع على ألفاظ المقنع*، تح: محمد الأرناؤوط وآخرون، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1.

بلال، ثنا عبد الرحمن (د.ت)، *الملابس في العصرين القبطي والإسلامي*، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1.

التونجي، محمد؛ طلائي، فرهنك (1992)، *المعجم الذهبي (فارسي – عربي)*، دار العلم للملايين، بيروت،

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمادي الفرابي (1987)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ناشر دار العلم للملايين، بيروت، ط4.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (د.ت)، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، الناشر المكتبة العلمية ، بيروت، د.ط .

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (1995)، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، ط2، ج2.

الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (1999)، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر. دار الفكر، بيروت. دمشق، ط1.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسين أبو الفيض (الملقلب بمرتضى) (د.ت)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، د.ط.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1998)، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ج1-2.

العدناني، الخطيب (1999)، *الملابس والزينة في الإسلام*، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (2008)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، الناشر عالم الكتب، بيروت، ط 1.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (2004)، *المنتخب الفصيح من كتاب العين*، تح: عبد الحميد هنداوي، دار العلم الثقافة للنشر ، القاهرة، (د.ط).

الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم البصري (د.ت)، *كتاب العين*، تح: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي، الناشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (1999)، *القاموس المحيط*، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4.

الفيومي، أحمد بن محمد (2010)، *المصباح المنير*، المكتبة العلمية، بيروت، ط 1.

الكاجاراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني (1967)، *مجمع بحار النوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار*، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3.

مجمع اللغة العربية (د.ت)، *المعجم الوسيط*، دار الدعوة، القاهرة، د.ط، ج1.

المناوي، محمد عبد الرزاق (2002)، *التوقيف على مهمّات التعاريف: معجم لغوي مصطلحي*، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت-دمشق، ط 1.

الوشاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب (1953)، *الظرف والظرفاء*، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط2.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

Dozy, R. (1981). *Supplément, Aux. Dictionnaires Arabes,* LIBRAIRIE DU LIBAN PLACE RIAD SOLH BEYROUTH.